المحقق السراج ابن الفارض السعدي سفر في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ، أرى كل مدح في النبي مقصرا
وإن بالغ المثني عليه وأكثرا ، إذا الله أثنى بالذي هو أهله ، عليه فما مقدار
ما يمدح الورى ، قال البدر الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء كأبي تمام
والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من أصعب
ما يحاولونه فإن المعاني دون مرتبته والأوصاف وإن كملت دون وصفه
وكل علو في حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الأقلام من كل
هذا وأن من أبلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع وأحسن
ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع ، وأجمع ما حوته قصيدة
من مآثره وخصائصه ومعجزاته ، وأفصح ما أشارت إليه منظومة من بدائع كماله
ما صاغه صوغ التبر الأحمر ، ونظمه نظم الدر والجوهر ، الشيخ الإمام العارف
الكامل الهمام المفنن المحقق البليغ الأديب المدقق إمام الشعراء وأشعر العلماء
وبليغ الفصحاء ، وأفصح البلغاء الحكماء ، الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد
ابن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي الشهير بالبوصيري
ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الإمام أبو حيان والإمام اليعمري أبو الفتح
ابن سيد الناس والمحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست أو سبع
وتسعين وستمائة وكان من عجائب الدهر في النظم والنثر ، ولو لم يكن له إلا
قصيدته المشهورة بالبردة التي سبب نظمها عن وقوع فالج به أعيا الأطباء
ففكر في إعمال قصيدة يتشفع بها إليه صلى الله عليه وسلم إلى ربه فأنشأها

فواه

أي بالبقرة والآتي الحسنة التي هي منه
الالهية أوفيه ...

كأني في قوله التالية
فيا عالم الأشياء عالم
ولا ناطق في الكون الا بمدحتي
ولا غرو ان سدت الاولى سبقوا وقد
عكست من طباد في عروة
يقول لا عجب من أن أكون سيدا بالنسبة إلى الذين
سبقوا ... من الأولياء والمقربين حال كوني
متمسكا بطريق النبي عليه السلام ... كمال متابعته
وملازمة شريعته وطريقته وكمال محبته وفهم كلامه
وذوقه ومعناه والاطلاع على رتبته والاشواق
في بحر ولايته وشهود حضرته وقيامي بترجمانيته
وانتظامي في سلك آله وعترته

فواه ما مسح بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب
منه سماعها فتعجب إذ لم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه
صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فأعطيته إياها لكنه ذكر ذلك منا
كيف وقد ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد
كالقرآن وكان يعاني صنعة الكتابة على الكتابات وباشر ببلبيس الشرقية
ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسي سفرا وحضرا فعادت عليه
بركته وساعده حظه وهمته إلى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة
والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه ، فرحمه الله ورضي عنه من قصيدة لطيفة المشهورة
العذبة الألفاظ الجزلة المباني ، العجيبة الأوضاع البديعة المعاني ، العديمة
النظير البديعة التحرير ، إذ لم ينسج أحد على منوالها ، ولا وصل إلى علي حسنها
وكمالها ، حتى الإمام البرهان القيراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة
والمتوفى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة مع جلالته وتضلعه من العلوم النقلية
والعقلية وتقدمه على أمثال عصره في العلوم لا سيما علم البلاغة وإتقان صنعة الشعر
وتمييز حلوه من مره أراد أن يحكيها ففاته الشنب ، وانقطع به الحبل عن أن
يبلغ من معارضتها أدنى أرب ، وذلك لطلاوة نظمها ، وحلاوة رسمها ، وبلاغة
جمعها ، وبراعة صنعها ، واشتمالها على نفيس أنوارها ، وادخارها عادي
أهل الكتابين ببراهين جلالها وهي دون نظائرها الاحرى بارتياح العقول ،
والجامعة بين المعقول والمنقول ، والحاوية لأكثر المعجزات ، والحاكية للشمائل الكريمة
على سنن قطع أعناق أفكار الشعراء أن تشير إلى محاكاة تلك الحكايات ،

Copyright © King Saud University